المصـــــدر : اليمامة
التـــاريخ : 24-09-2005
الصفحـات : 46
العـــدد : 1875
المسلسل : 18

رحاب الإيمان

في يوم الوطن:

المشايخ يتحدثون عن أصالة التجربة وأهمية البيعة وخطورة فكر التطرف

الرياض - د. عقيل العقيل

يعتبر التلاحم الذي يعيشه أبناء هذا الوطن وارتباطهم الوثيق مع ولاة أمرهم مضرباً للمثل؛ وبرهاناً راسخاً على صلابة القاعدة التي قامت عليها هذه البلاد المباركة، إذ أسست على التوحيد، وعمرت بتحكيم شرع الله، وتطبيق أحكام دينه؟ ولذلك ظلت شامخة، صامدة أمام كل التحديات والأحداث من حولها. وفي هذا السياق نقرأ عدداً من المعاني العظيمة التي أثمرت هذا الكيان وهيأت لرسوخه ومتانة أرضيته. ومن بين المحاور أصالة تجربة الحكم السعودي الإسلامية، وكيف نجحت في المحافظة على وحدة البلاد وضمنت استقرارها منذ عهد الملك عبدالعزيز، والمحور الثاني يتعلق بأهمية البيعة وقيمتها وما يترتب عليها من منظور شرعي، والمحور الثالث عن أهمية طاعة ولاة الأمر في المحافظة على وحدة المجتمع وحمايته من الفتن والانقسامات، أما المحور الرابع والأخير فيتطرق فيه المشايخ إلى خطورة فكر التطرف والغلو وأبعاده الخطرة كمهدد للوحدة الوطنية ومصالح المسلمين.

حول المحور الأول الخاص بأصالة تجربة الحكم السعودي الإسلامية ومحافظتها على وحدة البلاد يقول د. محمد بن يحيى النجيمي (رئيس الدراسات الإنسانية بكلية الملك فهد الأمنية والأستاذ بالمعهد العالي للقضاء والخبير بالمجمع الفقهي الإسلامي الدولي بجدة):

منذ التقى الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب في الدرعية، وتعاهدا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من مائتين وستين عاماً وهذا الكيان الكبير يلتزم بالمنهج الإسلامي القويم، وقد نجحت الدعوة السلفية في وحدة هذا الكيان، واستطاع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أن يوحد هذا الكيان الكبير ملتزماً بمنهج آبائه وأجداده وهو العقيدة الإسلامية الصافية، فوحّد هذا البلد في المملكة العربية السعودية بعد أن كان مشتتاً ومقسماً ومتقاتلاً، ولا شك أن هذا المنهج قد نجح في المحافظة على وحدة هذه البلاد وضمن استقرارها ووحدتها منذ عهد الملك عبدالعزيز إلى يومنا هذا مروراً بالعهود الميمونة للملك سعود وفيصل وخالد وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد -رحمهم الله جميعاً- ثم العهد الميمون لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

التغلب على الظروف

ويقول الشيخ د. علي بن شايع النفيسة مدير التوعية والتوجيه بوزارة الداخلية:

منذ أن تولى الملك عبدالعزيز -رحمه الله - مقاليد الحكم في هذه البلاد المباركة وهو ينادي بتطبيق شرع الله في جميع شؤون البلاد والعباد، وأرسى دعائم حكمه على هذا الأساس متغلباً بفضل الله وتوكله عليه على جميع الظروف التي واجهها لتوحيد البلاد ولمّ شملها بعد أن كانت قبائل وأحزاباً تتناحر وتتحارب على أتفه الأسباب، ويشيع فيها الخوف والسلب والنهب وقطع الطريق، وسار على نهجه -رحمه الله- أبناؤه البررة حكام هذه البلاد مستمدين قوتهم من إيمانهم بالله وتطبيق شرعه مع الأخذ بأسباب التقدم والحضارة في رقي البلاد والعباد بما يتوافق مع شرع الله الحكيم الذي يحث على التفكر والتقدم والرقي والاستفادة من خبرات الآخرين فيما يعود بالنفع على الناس، فأكرم الله هذه البلاد بالثروات الهائلة التي جعلتها محط أنظار العالم أجمع، وكانت سياسة حكومة هذه البلاد حكيمة في تسخير هذه الامكانات والثروات الهائلة للعيش الهانئ لسكان هذه البلاد، بل وفتح المجال للشعوب الأخرى للاستفادة من ثروات هذه البلاد بفتح المجالات المتعددة للعمل في تطوير البلاد وتنمية المشاريع العملاقة التي تعكس رغبة حكومة المملكة في النقلة الحضارية للسكان، مما يجعل أبناء هذه البلاد يعملون في المجالات المختلفة جنباً إلى جنب لا فرق بينهم بجنس أو بلون أو بقبيلة أو عشيرة، إنما هو التنافس الشريف في مجالات الحياة العلمية أو العملية المختلفة، وبهذا لم يعد هناك مجال للعصبية المقيتة إنما هو التميز بقدر ما يحمل الإنسان من كفاءة ومهارة.

تجربة فريدة

ولا يشك الشيخ باسم بن محمد السبْعي إمام جامع العود بالرياض وداعية إسلامي أن هذه البلاد نجحت نجاحاً كبيراً في المحافظة على وحدة البلاد منذ عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى عصرنا الحاضر. وهذا النجاح يرجع إلى أمور عدة.. ولعل من أهمها في نظري: ما يتعلق بشأن (الشورى): وما من شك أن خضوع الشورى لعقيدة التوحيد، وسماحة الشريعة تجعلها وسيلة لحماية الناس من العبودية للأهواء الفردية، أو الجماعية، كما أنها تحميهم من جميع الفلسفات المادية البشرية، فضلاً عن أنها تحافظ على وحدة البلاد من جميع النواحي. وبذلك تكون الشورى تكريماً للفرد وترشيداً للجماعة، وتربية لهم، وتضامناً فكرياً لأفرادها. هذا المنهج الإسلامي القويم التزم به حكام هذه البلاد هو القرآن والسنّة، الأمر الذي كفل لهذه البلاد الطاهرة الأمن والأمان، وجعلها الله ذات تجربة فريدة، ومميزة عن دول العالم الأخرى، فها هي الشورى في أزهى حللها لم تنقطع في هذه الدولة منذ قيامها، وعبر عهودها الثلاثة، إذ استمرت الصلة والترابط بين الحكومة والمواطن ميزة مبنية على المحبة والثقة المتبادلتين، والمتتبع لسير حكام هذه البلاد يلحظ مدى الاهتمام بالشورى، وتطبيقهم لمبادئها وفق النهج الرباني، وضمن سياسة الباب المفتوح، والمجالس المفتوحة، والتي أصبحت سمة من سمات الممارسة اليومية لحكام هذه البلاد؛ والتي أكد عليها النظام الأساسي للحكم.

أهمية البيعة

وعن أهمية البيعة وقيمتها وما يترتب عليها من منظور شرعي يقول أ.د. محمد النجيمي البيعة منهج إسلامي أصيل فعله رسوله الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده والسلف الصالح والمسلمون في كل العصور، وقد حذر الإسلام من أن يموت الإنسان وليس في عنقه بيعة، قال صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحذر الإسلام أيضاً من أن يخلع الإنسان يداً من طاعة، فقال صلى الله عليه وسلم: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولاحجة له»، وإذا بايع أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء والوجهاء وشيوخ القبائل فإن البيعة تلزم الجميع، فإن الصحابة بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم جميعاً ولم يبايع الكل وإنما بايع أهل الحل والعقد؛ ولهذا لا يجوز أن يقال لم أبايع فلم تلزمني البيعة، فإنه بإجماع الأمة إذا بايع أهل الحل والعقد لزمت البيعة للجميع، ومن خالف وخرج فإنه ينطبق عليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية».. أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. بينما يرى آل الشيخ د. علي النفيسة أن بيعة ولي الأمر من الأمور المقررة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي من الواجبات الدينية التي لا تتم مصالح الناس الدينية والدنيوية إلا بها، وفي هذا الشأن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/٢٩٠-٢٩١ «يجب أن يعرف أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصرة المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة».

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم ٢/١١٧» وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم.

ومعلوم أنه إذا بايع أهل الحل والعقد السلطان أو الإمام أو الملك حسب المسمى المتعارف عليه في البلاد أن البيعة تلزم جميع من هو تحت سلطته، كما عليه عقيدة أهل السنة والجماعة بقول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فطاعة ولاة أمور المسلمين تتضمن الاقرار ببيعتهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من خلع يداً من

المصـــــدر : اليمامة
التـــاريخ : 24-09-2005
الصفحـات : 47
العـــدد : 1875
المسلسل : 18

نفاخر بك يا وطن العز

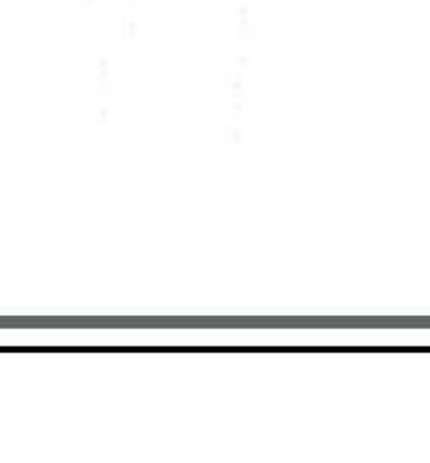
أ.د. محمد بن يحيى النجيمي

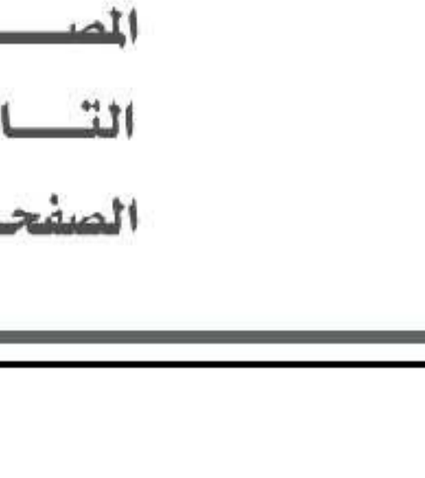
د. علي بن شايع النفيسة

باسم بن محمد السبعي

طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». رواه مسلم

وقد كانت مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز موافقة لشرع الله، فقد بايعه أهل الحل والعقد وتوافدت الوفود عليه من أعيان البلاد والقبائل لمبايعته بشكل أظهر تلاحم الشعب السعودي مع قادته وعكس الوحدة والاجتماع الذي يتمتع به أهل هذه البلاد حاكماً ومحكوماً فلله الحمد والمنة.

ويقول الشيخ باسم السبْعي: لقد عُنيَ السلف الصالح بمسألة الإمامة، وجعلوها من جملة أبواب الاعتقاد وأصول الدين، وأكثروا الحديث عنها، وفصّلوا فيها القول، وما ذاك إلا لعظم شأنها وخطورة سوء الفهم تجاهها، وأن مبدأ التعامل مبني على العلم والأثر لا على العاطفة والنظر؛ لما يترتب على ذلك من مراعاة المصالح والمفاسد العامة الطاغية على المفاسد والمصالح الخاصة، ولهذا بيّن أهل العلم حاجة الأمة إلى السلطان، ووجوب بيعته البيعة الشرعية، كما بيّنوا وجوب السمع والطاعة في غير معصية الله، عملاً بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه بعث جيشاً وأمّر عليهم رجلا فأوقد ناراً، فقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة»، وقال للآخرين: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف» رواه البخاري ومسلم.

وقد نقل ابن عبدالبر عن أيوب ابن القَرْية قال: «أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء والإخوان والسلطان، فمن استخفّ بالعلماء أفسد مروءته، ومن استخفّ بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد».

ثم ليعلم الجميع أن البيعة الشرعية فيها حقان: أحدهما حق للإمام كما ذكرناه آنفاً، وأما الآخر فهو حق للرعية بإقامة شرع الله فيهم، ونشر الحق والعدل والسعي في مصالحهم العامة والخاصة، وتدوين الدواوين ومراعاة المصالح المرسلة التي تعتري الناس بين الحين والآخر، ومنع الظلم والبغي والفساد، وما يسبّب الفرقة بين المسلمين.

وحاصل الأمر أنّ استقامة الناس، واستقرار المجتمع، وحفظ الضروريات لا يكون إلا بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر منا؛ لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) النساء: ٥٩، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وغيره: «أن أولي الأمر هم أصحاب الأمر ونوّوه وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس».

طاعة ولي الأمر

وحول المحور الثالث عن أهمية طاعة ولاة الأمر في المحافظة على وحدة المجتمع وحمايته من الفتن والانقسامات.

يقول أ.د. محمد النجيمي طاعة ولاة الأمر من غير معصية واجبة لظاهر قول الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك» رواه مسلم والأحاديث في هذا كثيرة ومعلومة ولاشك أن طاعة ولاة الأمور تحافظ على وحدة المجتمع وحمايته من الفتن والانقسامات لأنه لو أطيع كل إنسان في طلبه للسلطة فإن طلاب السلطة كثر فسيتنازع المسلمون وتذهب ريحهم وقوتهم، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه إن استطاع، فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» رواه مسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «من جاءكم وأنتم على قلب رجل واحد فاضربوا عنقه كائناً من كان» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ويقول د. علي النفيسة: طاعة ولاة الأمر بالمعروف من مقتضيات ومستلزمات البيعة ومن ذلك احترامهم وحبهم والدعاء لهم والصلاة خلفهم ودفع الزكاة لهم والحج والجهاد معهم ومناصحتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وحرمة غيبتهم والخروج عليهم أو إعانة من خرج عليهم ولو بالكلام أو التحريض عليهم، وقد جاءت النصوص صريحة في هذا الشأن فمن ذلك الآية السابقة في طاعة ولاة الأمر، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره وإلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» رواه مسلم من حديث حذيفة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه» الفتاوى ١٢/٣٥.

فكر التطرف كمهدد للوحدة الوطنية

ويتطرق أ.د. محمد النجيمي إلى خطورة فكر التطرف والغلو وأبعاده الخطرة كمهدد للوحدة الوطنية ومصالح المسلمين قائلاً:

لا شك أن الغلو والتطرف يهددان مصالح المسلمين ووحدتهم؛ وذلك أنهم يذكون الفتنة بين المسلمين فيتقاتلون ويدمرون أوطانهم ويسفكون دماء بعضهم البعض، وهذا ما يريده أعداء الأمة حتى إذا ضعف المسلمون انقضوا عليهم، ولا شك أن المتطرفين والغلاة هم السبب الرئيس في إضعاف المسلمين على مدى التاريخ الطويل للمسلمين، فبسبب الفتنة تأخرت الفتوحات كثيراً في عهد الدولة العباسية، وفي وقتنا هذا نجد أن الأعمال الإرهابية التي قام بها الغلاة والمتطرفون قد أضرت بالدعوة الإسلامية، بل كانت سبباً في زيادة الضغط على الدول الإسلامية من أعدائها.

ويقول د. علي النفيسة: التطرف والغلو يأتي نتاجاً سلبياً للبعد عن العلماء الراسخين في العلم، كما هو نتاج للفتاوى المضللة من أنصاف طلبة العلم فيعكس سلوكاً عدوانياً مخالفاً للنهج الإسلامي القويم القائم على الاعتدال والوسطية.

وقد ذم الله الغلو في صريح كتابه فقال تعالى: (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) «المائدة ٧٧».

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم» رواية أبو يعلي في مسنده من حديث أنس.

ومن مظاهر التطرف التعصب للرأي وعدم قبول الرأي الآخر والتزام التشدد وإلزام الناس به مع وجود موجبات التيسير، كذلك الغلظة والتشدد والفظاظة في الدعوة مخالفين صريح القرآن، في هذا الشأن يقول تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» النحل ١٢٥

ونتاج لهذا الفكر الشاذ تكون الفرقة بين أبناء البلاد خصوصاً المتعلمين منهم الذين يعتبرون رموزاً للفكر مما يتسبب بوجود تيارات متناحرة تتقاذف بالسباب والشتائم إلى أن تصل إلى درجة التكفير، ومن ثم استباحة الدماء المعصومة لشبهات باطلة أساسها الغلو والتطرف الذي يتسبب بوجود تطرف مضاد ينعكس سلباً على الوحدة الوطنية.

أ.د. محمد النجيمي: نجحت الدعوة السلفية في وحدة هذا الكيان الملتزم بالنهج الإسلامي القويم

د. علي النفيسة: حذر الإسلام من أن يموت الإنسان وليس في عنقه بيعة

باسم السبعي: للتطرف والغلو أثر عظيم في تهديد مصالح المسلمين

وفي الختام يقول الشيخ باسم السبْعي:

لا شك أن للتطرف والغلو أثراً عظيماً في تهديد مصالح المسلمين. فما جرّت هذه الأفكار على المسلمين إلا كل بلاء وخسارة. ولا شك أيضاً أن هذا من مآثر التخطيط الصهيوني الذي يريد الإطاحة بهذه البلاد وبشعبها. وبما أنعم الله به عليها من نعمة الأمن والأمان ومن نعمة تمسكها بكتاب ربها وبسنة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن أنى لهم ذلك!!

فهذه البلاد كما قال الشاعر:

من كان فوق محلّ الشمس موضعه
فليس يرفعه شيء ولا يضع